



## تأثير الإمبريالية والاستعمار على الحداثة والنسوية تطور الحركة النسائية في القدس كأنموذج

ناديا حرمرش

### مقدِّمة:

تشكّل محاولات كثير من الباحثين، وكذلك الأفراد، في حفظ الرواية الفلسطينية خلال العقود الثلاثة الأخيرة، جهداً حقيقياً لاكتشاف حقيقة مجتمع دُفن تحت أنقاض الاحتلال وحوصر بين إنكار وهزيمة. لم تبدأ عملية حفظ التاريخ الشفوي الفلسطيني حتى سنوات السبعينيات من القرن العشرين، كما يؤكد المؤرخ الفلسطيني نور مصالحة، فلقد «بدأ بعرض صورة الأحداث من وجهة نظر اللاجئين العاديين الذين عانوا من الحرمان والتشتت»<sup>(1)</sup>. مصالحة يؤكد كذلك، أن هذا «كان قبل افتتاح المحفوظات الحكومية والمؤسسات الإسرائيلية في أواخر السبعينيات حتى منتصف الثمانينيات.

منذ الاحتلال الإسرائيلي عام (1948)، انشغل الفلسطينيون بصراع يومي من أجل البقاء. لقد تم تشويه الذاكرة الفلسطينية وسط كل الكوارث والهزائم التي عاشها الفلسطينيون

(1) مصالحة، نور (2012). The Palestine Nakba: Decolonizing History, Narrating the Subaltern, Reclaiming Memory. ص. 215.

على المستوى الشخصي والشعبي.

إنّ الذاكرة الجماعيّة في وقت الكوارث تصبح شخصيّة على ما يبدو. حيث يتم إخفاء الذكريات بدهاء أو مسحها تماماً في بعض الحالات. ليست مصادفة أنّ الرواية الفلسطينيّة ليست مجمّعة أو تتم روايتها بنفس الوتيرة أو بشكل جيّد. إنّ سنوات من الصّمت بسبب الهزيمة والعجز أدّت إلى سكوت غير محكيّ لما أصبح لاحقاً الصّوت الفلسطينيّ.

ذلك الصّراع اليوميّ نجح في طمس الكثير من الذكريات المتعلقة بالتاريخ الفعليّ. والتي أصبحت مع الزمن محدّدة بأشخاص بعينهم، وأسماء وأحداث تم إقصاء المرأة منها تدريجيّاً. حيث تدرّجت الأولويات ليتصدرها البقاء الذي يواجه نهجاً إمبريالياً استعماريّاً؛ لم يتوقف يوماً عن محاولة التخلّص الممنهج من الشعب الفلسطينيّ بالأشكال كافّة. وعليه، يمكن القياس أين يمكن أن تؤول المرأة في مكانها ضمن الأولويات.

يأتي إقصاء المرأة كذلك كنتيجة حتميّة من التّحيّز التاريخيّ ضد تواجد المرأة في مناصب عليا بالأعمال والسياسة والمكانة، وصولاً إلى الفكر الإسلاميّ المحدث من المتعصّب (الإخواني والوهابي والداعشيّ) الذي يرى المرأة كتابع للرجل.

بالإضافة إلى ذلك، خضوع المرأة الفلسطينيّة لهيمنة الثقافة العربيّة الأبويّة السائدة في المناطق الحضريّة والريفية، كما في معظم المجتمعات العربيّة المجاورة. وبالتالي، كما يصف د. نور مصالحة: «الاستمرار في استبعادهن، حتى بداخل السرد الأكثر ديمقراطيّة نسبياً مع الإعلام العالميّ الجديد»<sup>(1)</sup>. ومن جانب آخر، وفي أبحاث السرد الأكثر ديمقراطيّة الفلسطينيّ، كثيراً ما يتم إسكات ذاكرة المرأة لأنّه يتم النظر لها على أنّها تقوّض الخطاب القوميّ الفلسطينيّ. وهذه قضية، فشلت الدراسات الثنويّة في التصدي لها بشكل كافٍ، على الرغم من إجراء المقابلات مع النساء وتسجيل أصواتهن، إلا أنه يتم عرض الرجال في الأدوار الأساسيّة<sup>(2)</sup>.

(1) المرجع السابق. ص 226 - 228.

(2) نفسه.



الفترة السابقة للاحتلال الإسرائيلي (الفترة بين الحربين العالميتين: الأولى والثانية)، لم تكن أقل في تحدياتها؛ إذ تخللها أكثر من عقدين على الانتداب البريطاني، وسط تغييرات جذرية حددت أقطاب القوى العالمية الجديدة، وأنهدت مئات الأعوام من الحكم العثماني على المشرق العربي وانهارت إمبراطورية؛ امتدت في أرجائها إلى أواسط أوروبا. ولكن مع هذا، كانت الحداثة تأخذ شكل العالم الجديد، ولم تستثن من هذا المجتمع الفلسطيني، برجاله ونسائه، وتركيبته المجتمعية المختلفة.

يقول إدوارد سعيد في مقدّمته لسيرة سيرين حسيني: «بالنسبة لفتاة عربيّة وُلدت بين حربين عالميتين، فإن التعليم كان محدوداً (حيث درست في مدرسة الفرندز برام الله، وتخرّجت من الجامعة الأميركية ببيروت). فالتّعليم على هذا النحو لم يكن مألوفاً، إلّا أنّه يمكننا أن نرى في ذلك إشارة تنبّه إلى تلك الطاقة الفائقة التي دفعت الفلسطينيين وخاصة النساء، ليثوروا ضدّ الخضوع بقبول دور المشاهد الكسول أو السلبيّ. هذه الطاقة دفعتهن نحو المساهمة في حملات تعاونيّة في التنمية والمقاومة الجماعيّة. هذا الوضع انعكس على الكثير من الفلسطينيين، ودفعهم نحو التعليم وتعلم الاستقلال الذاتيّ النّاجم عن السياسة والإعاقات الجغرافيّة كما في حال سيرين. هذا، وبعد نصف قرن، أصبحت هذه، واحدة من صفات الانتفاضة: تشكيل جبهة موحدة من المدنيين، رجالاً، ونساءً وأطفالاً. وتوحيد في وئام ضد القوات الإسرائيليّة في الأراضي المحتلة، نتيجة لتنظيمهم، وتفكيرهم الإبداعي، الذكاء والإرادة والتفأول»<sup>(1)</sup>.

كما في العديد من الأحداث والذكريات المبعثرة في الرواية الفلسطينيّة المتلاشية، كذلك نصيب الجزء الخاص بالمرأة من الذّاكرة، إلّا بما تحدّده لنا الظروف المعيشيّة الجديدة بقواها السياسيّة والاجتماعيّة. كان دور المرأة كذلك جزءاً من الذّاكرة الجماعيّة المقدّر لها «التناسي»، لفسوة العقود المصاحبة لنهاية الفترة العثمانيّة التي انتهت إلى مسح كاملٍ لأيّ إنجازٍ إيجابيّ لتلك الحقبة. عندما يتذكّر الناس قصصاً عن التّجنيد الإجماليّ والعقوبات الجماعيّة والمجازر، والفقر والأمراض. لا يبقى إلّا جانب سلبيّ يهيمن على نواحي الحياة كافة في تلك الفترة.

(1) حسيني، سيرين (2009). مذكرات من القدس. ترجمة محمد براده. مطبعة الشروق. عمان. مقدمة إدوارد سعيد. ص: 17.

شقّ الحراك النسائيّ الفلسطينيّ طريقه وسط حراك نسائيّ عربيّ وعالميّ ناشئ. تأثر بلا شك بالتمدّن والتعليم والتّغيير السّياسي، مما ساعد على صعود الحركة النسائيّة إلى جانب الحركة السّياسيّة المهيمن عليها من قبل القوميّة الذكوريّة (الأبويّة) التي حدّدت وشكّلت التطور الطبيعيّ للحركة النسائيّة.

لم تكن تلك الفترة مختلفة عمّا آل إليه مصير الفلسطينيين، فقد تكلّلت بمواجهة التّحديات والنضال من أجل التّحرّر. وتأثر الحراك النسائيّ بالنزاعات السّياسيّة والإجماع القوميّ، وأثر بالتالي على تطوّر أجندة نسويّة اجتماعيّة فاعلة. قد يفهم صعود الحراك النسائيّ على أنّه جزء من تفعيل الطبقة الوسطى و/أو النخبة كنتاج التطور الطبيعيّ للمرحلة، بما يشمله ذلك التعليم والنّشاط السّياسيّ. أو أنه كان كذلك، وعياً جماعياً داخل المجتمع بطبقاته كافة.

وتبقى مواضيع الحداثة والاستعمار وما بعد الاستعمار تشكّل تساؤلاً للجدل الخاص بالحراك النسائيّ وتطوّره على الصعيد الاجتماعيّ والسّياسيّ.

### تأثر الحراك النسائيّ الفلسطينيّ بالحراك العربيّ في نشأته

عندما بدأت الحركة النسويّة في الغرب بتشكيل نفسها في بدايات العقود الأولى من القرن العشرين، تحركت النساء العربيّات معها بمدّ بذور هذا الحراك في المشرق العربيّ. فبدأ الحراك بمصر، ورعته السيدة هدى الشعراوي (1897 - 1947)، أولى قياديات الحركة النسويّة في العالم العربيّ. ليتمتد الحراك ويتنشر في مدن عربيّة أخرى، وكانت القدس وبيروت ودمشق مراكزه المهمّة.

كانت هدى الشعراوي قد عادت من رحلة لمؤتمر نسويّ في أوروبا عام (1923)، عندما خرجت من القطار وخلعت نقابها.

كان المشهد العلنيّ لخلع النقاب، الذي كانت ترتديه حينها النساء المتتميات للطبقة الأرستقراطية، بمثابة أول عصيان علنيّ للقيود التقليديّة.

في ذلك العام (1929)، ساهمت الشعراوي في إقامة اتحاد المرأة الذي شغلت منصب رئيسته لمدة 24 عاماً. تمحورت أهداف هدى الشعراوي نحو التشبيك والتواصل بين



الحركة النسوية في مصر والعالم، وانضمت إلى رابطة النساء في أوروبا، من جهة. وقامت بحملات عديدة للدعوة إلى تحسين حياة المرأة بما في ذلك رفع سن الزواج للبنات لعمر 16 عاماً، وزيادة فرص التعليم للبنات، وتحسين الوضع الصحي، من جهة أخرى.

وعليه، قادت الشعراوي البعثات النسائية للمؤتمرات الدولية، ونظمت لقاءات نسوية عربية. وتم تأسيس أول مدرسة ثانوية للبنات بمصر عام (1927).

وفي البلدان العربية المجاورة، تضافر الدعم النسائي لهذا الحراك، وكرست المفكرة والأديبة الفلسطينية/ اللبنانية مي زيادة، التي كانت تقيم في مصر آنذاك، قلمها لتعزيز الرؤية النسوية وفتح آفاق المساواة والمطالبة بالحقوق من خلال مقالات بالجرائد وكتب مهمة. كذلك كانت عنبرة سلام وماتيل مغنم في بيروت والقدس.

بين عامي (1943 و 1945) بدأت استعدادات هدى الشعراوي لتأسيس فدرالية اتحادات المرأة العربية، بعد جولات إلى سوريا، لبنان، فلسطين والأردن على رأس وفد نسوي مصري للترتيب لإنشاء فدرالية اتحادات المرأة العربية. وذلك انطلاقاً من التزامها بالقومية العربية وقضايا الأمة التي كانت القضية الفلسطينية، قد بدا تجلي المؤامرة عليها. فأوقفت علاقتها مع الرابطة العالمية لرفضها دعم القضية الفلسطينية<sup>(1)</sup>.

انعقد المؤتمر النسوي العربي في القاهرة أواخر عام (1944)، وتم تأسيس فدرالية اتحادات المرأة العربية - والتي يشار إليها كذلك بالفدرالية النسوية العربية - مع حلول عام (1945). لتكون هذه الخطوة بمثابة إطلاق جهد عربي قومي، سبق تأسيس جامعة الدول العربية، متبينة جدول أعمال طموح يهدف إلى تعزيز القومية العربية، خصوصاً حقوق الفلسطينيين العرب. وتبنت الفدرالية النسوية العربية أفكار الفدرالية النسوية الأوروبية برفض النظام الذكوري، ودعت إلى إصلاح في قانون الأحوال الشخصية<sup>(2)</sup>.

الإعلان عن هذا الحدث الكبير، سبقه زيارات عديدة للوفد المصري بقيادة هدى

(1) <http://www.distinguishedwomen.com/biographies/Shaw'rawi.html>

(2) تلحمي، غادة. ص: 36.

الشعراوي إلى القدس خلال السنوات السابقة. تعمّدت هدى الشعراوي أن يكون المؤتمر الأول بالقدس.

أقيم المؤتمر الأول عام (1929) في بيت السيدة طرب عبد الهادي، المديرية التنفيذية للجنة المؤتمر في القدس، بمشاركة العشرات من سيّدات الطبقة الراقية في القدس آنذاك. على الرغم من الخلافات والانقسامات التي حصلت فيما بين المؤتمرات من السيّدات؛ وذلك للخلافات السياسيّة التي كانت تشوب القيادة الفلسطينيّة المتمثلة بأقطاب النُخب الفلسطينيّة المقدسيّة، إلّا أنّ ذلك المؤتمر شكّل حجر أساس للحركة النسائية في تفعيل دورها القيادي مستقبلاً.

أثناء المؤتمر، حدثت مظاهرات واحتجاجات، أدت إلى مقتل (67) شخصاً، كان من ضمنهم نساء، يذكر منهن: صبيحة حافظ نسبية، بينيار مليجيان، رييحة محمد عصيب (من القدس) وسعاد العلي، أمينة الحاج ياسين (من قباطية). وتعرّضت نساء أخريات لجروح بالغة<sup>(1)</sup>. وعليه، قررت السيدات المجتمعات كتابة عريضة مطالب وتقديمها فوراً إلى المندوب الساميّ.

خرج المؤتمر أثناء انعقاده بمجموعة من التوصيات، وعليه قامت مجموعة من السيدات بتقديم الاحتجاجات والمطالبات أمام المندوب السامي. والتي تضمنت فعاليات احتجاج على وعد بلفور، العقاب الجماعي، إساءة معاملة الأسرى العرب، والتبرعات للاجئين اليهود بلا تكريس تبرعات للاجئين العرب. في ذلك الاجتماع، أرادت السيدات تقديم مطالبهن للحكومة البريطانيّة بشكل مباشر، وكان لهن مطالبات محددة بشأن إطلاق سراح الأسرى. عندما انتهى الاجتماع، رفضت السيدات تناول القهوة، كإشارة للاحتجاج تعبيراً عن مرارة الحكم البريطاني. ورجعت السيدات للمؤتمر الذي كان لا يزال قيد الانعقاد<sup>(2)</sup>.

(1) نجار. عايده. في ذكرى النكبة - مقال:

<http://www.addustour.com/15025/+%3النكبة+في+ذكرى+النكبة3>

(2) المرجع السابق.



أظهر المؤتمر السيدات العربيات أمام سلطة الانتداب البريطاني، بصورة أخرى عن تلك التي أرادت سلطة الانتداب تكريسها وإظهارها عن المرأة العربيّة. فحتى تلك اللحظة، كان ظهور السيدات مرتبطاً بأزواجهنّ.

الباحثة الأميركية إين فليشمان ذكرت في كتابها عن تطور الحركة النسائيّة ما جاء في تقرير المندوب السّاميّ، والذي يفسّر النوايا والمشاكل الحقيقيّة الخاصّة بالبريطانيين من حيث تفكيرهم وخططهم التكتيكيّة من أجل المحافظة على الوضع القائم. الحقيقة المهمة والصارخة كانت في نيّة المندوب السامي الذي حاول تهديد السيدات، وتبديد جهودهنّ، وإسكاتهنّ من خلال استخدام التقاليد الذكوريّة التي كان البريطانيون أنفسهم ينتقدونها على الدوام. تضمّن تقرير المندوب السّاميّ على ما يلي: «لقد تمت محاولات لإقناع القيادة المسلمة ليمنعوا النساء من التظاهر. في البداية رفضوا التدخل، ولكن عندما تم الشرح لهم بأنه سيتم منع المظاهرات بالقوة إذا ما دعت الحاجة إلى ذلك، وإنهم لن يجدوا أحداً للومه إلا أنفسهم إذا ما دخلت النساء في صدام مع الشرطة، تم تغيير الإجراءات. فتم الترتيب على أساس قيادة المؤتمر الأساسي من الاجتماع إلى المسجد الأقصى، حيث يكون أعضاء الوفد بانتظارهم. تم تنفيذ الإجراءات على حسب الاتفاق»<sup>(1)</sup>.

ترتب على ذلك الاجتماع الكثير من التغطية الإعلامية. فنشرت جريدة صوت الشعب في عددها الصادر في (30 تشرين الأول 1929) أسماء السيدات المشاركات وأثنت على شجاعتهنّ وإصرارهنّ<sup>(2)</sup>.

هذا السطوع الإعلامي، قرّب المرأة الفلسطينية أكثر من قريبتها العربيّة، وشجّعت الأفلام العربيّة الأخرى على الكتابة والبحث والتركيز على المرأة الفلسطينية ضمن صراعها تحت الانتداب الكولونياليّ ومواجهتها للنظام الذكوريّ المتحكّم.

(1) فليشمان، إين. الحركة النسائية في القدس (1920 - 1930). ص. 25 - 26.

مراسلة سرية بتاريخ 31/10/1928 من السير جون تشانسler للورد باسفلد وير المستعمرات. أوراق خاصة للسير جون روبرت تشانسler، رودس هاوس وأكسفورد.

(2) نفسه.

## تأثير الوضع السياسي (بين الفترة 1920 - 1948) على نشأة تطور الحركة النسائيّة الفلسطينيّة، نشأة النخبة السياسيّة في القدس

استفادت فلسطين من التقدم الذي حاولت الإمبراطوريّة العثمانيّة تحقيقه في الشام، خصوصاً بعد الاحتلال المصري في الفترة ما بين الأعوام (1830 - 1840). هذا التّحدي أدّى إلى تزويد خدمات تنظيميّة في مختلف الولايات للإمبراطوريّة، من ضمنها: أصبحت القدس مدينة مركزية. يصف كامل عسلي في كتابه «القدس بالتاريخ» أن القدس «تحوّلت من مقاطعة هامشيّة صغيرة إلى أكبر المدن الفلسطينيّة والمركز الثقافي والسياسي للدولة»<sup>(1)</sup>.

طريف خالدي، يسمي الفترة الواقعة بين الأعوام (1900 و 1948)، أنها بداية «الفترة الثانية للتاريخ الفكريّ»، قائلاً: «شهدت الفترة التي سبقت النهضة العربيّة الأولى، أو النهضة الثقافيّة، وعود الانتداب كواحدة من التطورات الفكريّة المتقرّمة»<sup>(2)</sup>. يعتقد الخالدي أنه كان في تلك الفترة صورة تقليديّة للثقافة العربيّة. حيث «يستطيع المرء أن يكسب وعياً أكثر تعاطفياً لتساوي البعد الثقافي لجميع الأجيال القادمة مما يفترض أن يشكّل مثاليّة، تألقاً أو انحطاطاً. لم تعد هذه توصيفات مناسبة للمساهمات الفكريّة لحقبة ما بالمقارنة مع أخرى. الماضي العربيّ يتكلّم معنا بالعديد من الأصوات بدلاً من التسلسل بالتناوب مع البلاغة والتفاهة، النهضة والتراجع»<sup>(3)</sup>.

تشكّلت القيادة الفلسطينيّة من أعيان عائلات محدّدة، والذين شكّلوا تدريجياً مع الأحزاب السياسيّة العربيّة الفلسطينيّة (الحزب العربي الفلسطيني، حزب الدفاع القومي الفلسطيني، وحزب الاستقلال) الخيوط الأولى للتطور الديمقراطيّ، والتي بقيت

(1) عسلي، كامل (1999). القدس في التاريخ. مطبعة أوليف برانش، بروكلين. ص: 233.

(2) خالدي، طريف 194 - 1900 Palestinian Historiography: ص: 59 - 76.

(3) نفسه.

أيضاً: يستدعي الخوض في هذه الفكرة تعمقاً في أعمال المفكر الفلسطيني إدوارد سعيد بالحدائث والاستشراق.





كظاهرة من مظاهر النقاش المستمر بمنافسات تقليدية داخل تلك العائلات<sup>(1)</sup>. الدكتور حسين فخري الخالدي، رئيس بلدية القدس في الثلاثينيات من القرن العشرين، أعرب صراحة عن تخوفه من الانقسام والتناحر الدائر بين العائلتين (الحسيني والنشاشيبي)، والتي تعدت خلافاتهم مصلحة الأمة. وغالباً ما أدى هذا التنافس والعداء إلى التآمر مع العدو من أجل إيذاء الطرف الآخر.

تصاعدت المخاوف الفلسطينية مع إنشاء «الوكالة اليهودية في آب (1929)، والتي ضمت شخصيات يهودية عالمية معروفة في عضويتها. كانت هذه أول المخاوف التي أثارت نفوس الفلسطينيين بتصاعد التأثير الصهيوني على البريطانيين. الحدث الآخر الذي شكّل حجر زاوية في تلك الفترة، كان في المظاهرات السياسية غير المسبوقة أمام حائط البراق، عندما قامت مجموعات من المجتدين اليمينيين العلمانيين من حزب التصحيح الصهيوني، بدعوة الانتداب البريطاني إلى مراجعة مخططاته لتشمل استعماراً قسرياً لشرق الأردن مع فلسطين. أدى ذلك إلى اشتباكات مع الفلسطينيين، ليكون دليلاً على أن الهجرة اليهودية لم تكن بريئة، ولكن ضمن رؤية مستقبلية للغزو القادم<sup>(2)</sup>.

كان هناك توافق عام في الآراء على أن الجهود السياسية والدبلوماسية لم تكن مجدية، وأن التمرد المسلح المستهدف للبريطانيين لن يسفر عن نتائج كبيرة.

في كانون الثاني (1935)، أخلف البريطانيون تعهدهم بتشكيل مجلس تشريعي محلي، وذلك بضغط وتهديد الأعضاء المؤيدين للصهيونية. ليؤكد للفلسطينيين أن دور البريطانيين أبعد ما يكون عن كونه عادلاً<sup>(3)</sup>.

شهد شهر أيار من عام (1936) تمرداً مفتوحاً من قبل الفلسطينيين. وعليه، شكّلت

(1) قعوار، أمل. ص. 6 - 7.

(2) خالدي، وليد. ص: 86.

أيضاً: مع حلول عام 1933، وصل عدد المهاجرين اليهود إلى 30,000. عام 1934 وصل عددهم إلى 42,000، وفي عام 1935، وصل العدد إلى 61,000. تصاعد الأعداد أدى إلى تخوف الفلسطينيين وزاد من بأسهم. مما أدى إلى تشكيل خمسة أحزاب سياسية في الفترة ما بين 1932 و 1935.

(3) خالدي، وليد. ص: 87.

الأحزاب السياسيّة «اللجنة العربيّة العليا» تحت قياده الحاج أمين الحسيني، وعقدت مؤتمراً دعواً إلى العصيان المدنيّ والإضراب العام احتجاجاً على السياسة البريطانيّة الموالية للصهيونيّة. استمر الإضراب لثلاث سنوات<sup>(1)</sup>.

### تفاعل الحراك النسائي مع الوضع السياسي وتأثيره

انشغال الفلسطينيين «بالبقاء» على مدار العقود، دثر الكثير من المعلومات، مما أدّى إلى تضاربها في كثير من الأحيان. وعليه، تشير البحوث إلى العديد من أسماء الجمعيات التي تشكلت في سنوات التأسيس العشرين الأولى، التي تفضي للوهلة الأولى بكثرتها، ليتبين مع البحث أن الحديث يدور عن الجمعيّة نفسها، ولكن باختلاف في موضع الكلمات أحياناً، والتسمية أحياناً أخرى. وما زاد الأمر اختلاطاً، هو الخلاف السياسيّ الذي نشأ بين العائلتين المتصدرتين للقيادة السياسيّة، الذي أثر بلا شك على تبعية السيدات الفاعلات في الحراك النسائي. حسب الباحثة فليشمان، كان هناك تداخلاً في أسماء النساء في الجمعيات المختلفة والمؤسّسات، أدّى إلى الخروج بمعلومات غير دقيقة. هذا التداخل يؤشر إلى الانقسام الذي حصل بين العائلات الأرسقراطيّة الرئيسة في القدس في نزاعهم حول السيادة. «في عام (1938 أو 1939)، حصل هناك انفصال بين النساء على نهج خط النزاع بين عائليّتي الحسيني والنشاشيبي»<sup>(2)</sup>. ترجّح فليشمان أنّ السيدات، على الرغم من إنكارهن لهذا التأثير، إلّا أنّ الحقيقة كانت عكس ذلك. حيث إن الحصول على المعلومات البحثيّة المتوفرة جاء من خلال أشخاص آخرين. إمّا من خلال أقاربهم أو أشخاص عاصروا تلك الفترة، حيث لم تكن أيّ من السيدات موضع الدراسة على قيد الحياة عند إجراء البحث. وتضيف: «يمكن الاستنتاج، أنّ النساء لم تكن «فوق» السياسة، وكما سنرى، إنّ معظم نشاطاتهن كانت متأثرة بالسياسة، حتى عند اشتغالهن بالأعمال الخيريّة. بعد انفصال العائلتين (الحسيني والنشاشيبي)، صار

(1) المرجع السابق. ص: 189.

أيضاً: تم حل اللجنة العربية العليا في الأول من تشرين أول، عام 1937، عندما تم إبعاد أربعة من قادة الأحزاب إلى جزيرة سيشيل في المحيط الهندي. (حسين خالد يعقوب الغصين أحمد حلمي، وفؤاد سابا)، فيما هرب كل من الحاج أمين الحسيني وآخرون لدول عربية متفرقة.

(2) فليشمان، إلين. الحركة النسائية في القدس (1920 - 1930). ص: 28.



هناك مجموعتان: اتحاد النساء العربي وجمعية السيدات العرب<sup>(1)</sup>.

تؤكد فليشمان كذلك على: «إن وفرة الأسماء في المصادر المختلفة، تشتت محاولات إعادة بناء تاريخ الحركة النسائية في تلك الفترة، تحديداً، عندما يحاول المرء تتبع أصول وتأثيرات الانفصال في كلتا المنظمتين»<sup>(2)</sup>. على سبيل المثال، إن الكثير من المراجع المكتوبة تؤشر إلى جمعيات يبدو أنها كانت هي نفس الجمعية أو المجموعة المقصودة. مثل: «لجنة المرأة العربية»، «لجنة السيدات العرب»، «جمعية سيدات العرب» و«جمعية السيدات العربيات»، كلها تشير إلى مجموعة واحدة. لقد كان هناك إشارة كذلك في الإعلام لذكر «اللجنة التنفيذية للسيدات العرب» و«اللجنة التنفيذية للسيدات». إن «اللجنة النسائية العربية بالقدس»، حسب إفادة ماتيل مغنم، استبدلت «لجنة سيدات العرب»<sup>(3)</sup>. ومصطلح الاتحاد النسائي لم يتم استخدامه إلا بعد عام (1938)<sup>(4)</sup>.

يمكن الاستنتاج مما سبق، أنه كان هناك جمعية رئيسية في القدس عملت تحت كل هذه الأسماء المختلفة<sup>(5)</sup>.

### تشكيل النواة الأولى للحركة النسائية وتطورها

كانت اللجنة التحضيرية للمرأة مع هدى الشعراوي عام (1929) هي النواة الأولى لهذه الحركة، وتحوّلت فيما بعد إلى جمعية واسعة استمرت السيطرة عليها من قبل عضوات بارزات في اللجنة التنفيذية<sup>(6)</sup>.

«أنشئت الجمعية النسائية العربية عام (1929)، كالجمعية الأولى التي جمعت النساء معاً،

(1) المرجع السابق. ص: 28.

(2) نفسه.

(3) نفسه.

(4) نفسه.

(5) المرجع السابق. ص: 29.

(6) نفسه.

على خلفية تظاهرات البراق في العام نفسه. خرجت الجمعية النسائية العربية من مؤتمر النساء الفلسطينيات الأول المنعقد في 29 تشرين الأول (1929)، ضمن مجموعة من الأهداف الطموحة التي خرجت ضمن نظام المؤتمر<sup>(7)</sup>.

نشطت الجمعية بالطعون الاحتجاجية في الثلاثينيات على خلفية موجات متصاعدة من الاعتقالات والتوقيف. فتركز الاهتمام على كتابة المناشدات والاحتجاجات للحكومة الانتدابية. تضمّنت الطعون (المناشدات) من بلاغات مطوّلة تتعامل مع الوضع القائم والأمور الملحة. أرسلت السيدات كذلك، مناشدات بشأن التعليم، العنصرية ضدّ الموظفين العرب في الخدمة المدنية، الضرائب، والإغاثة للفلاحين.

تمخّض عن إضراب العام (1936)، الكثير من الطعون والاحتجاجات المكتوبة المكثفة. ونشطت الحركة في أعمال الإغاثة، ودعم المعتقلين وعائلاتهم، من خلال جمع التبرعات وتجنيد المساعدات الغذائية والملابس للأسرى والجرحى وعائلاتهم. وتطوّر الحراك إلى سياسي مع ازدياد تردّي الوضع. وأخذت بعداً عسكرياً فيما بعد.

حاولت الحكومة البريطانية إيقاف الحراك النسائي المتمثل بالاحتجاجات والنشاطات المختلفة من خلال وضع نفس «القيم التقليدية» كضغوطات على الرجال. فحاولوا تكريس الحيل ذاتها التي استخدموها في الاحتجاجات السابقة في محاولة منع النساء من الخروج للاحتجاج بالشوارع عن طريق الضغط والتهديد. وكشفت مراسلة سرّية من المندوب الساميّ إلى وزير الخارجية بتاريخ (23 تشرين الأول 1933)، أعرب من خلالها المندوب السامي عن قلقه من تنامي الحراك النسائي: «هناك ظاهرة جديدة ولا يمكن تهدئتها بمظاهرات القدس، حيث خرجت نساء من العائلات الجيدة وغيرها». تذرّ الشرطة من إزعاج النساء وصياحهن وضرهن على أبواب مكاتب الحكومة، والتلويح بالمناديل. في تلك المناسبة، لم تقتصر مشاركة النساء فقط بتظاهرات القدس، ولكن سافرت ليافا للمشاركة بمظاهرة الأسبوع التالي<sup>(8)</sup>.

(7) تلحمي، غادة. ص: 36 - 37.

(8) فليشان، إيلين. الحركة النسائية في القدس (1920 - 1930). ص: 30 - 31.



النشاطات التي قامت بها النساء الفلسطينيات خلال ثورة عام (1936) أخذت مجرى مشابهاً لما قامت به الفلسطينيات في مواجهة الاحتلال الإسرائيلي بالانتفاضة الأولى (1987 - 1993)؛ إذ قامت المرأة بأدوار محدّدة ومباشرة بالثورة، تضمنت العمل العسكري والمشاركة بالمظاهرات. وبسبب المستوى العلمي والثقافي، استطاعت النساء المشاركة في اجتماعات مع السياسيين البريطانيين، وساهمن في كتابة الاعتراضات.

وعلى الأرض، شاركت النساء بحملة المقاطعة ضد البضائع غير الوطنية، وفرضت المقاطعة على التّجّار. جنّدت النساء الموارد لجمع الأموال من أجل شراء الأسلحة، من خلال بيع مجوهراتهن، وفي بعض الأحيان تبرعن بممتلكاتهن الخاصة. في بعض المدارس، انضمت الفتيات إلى فرق الكشافة للتدريب على القتال، عصام حمدي الحسيني التي عاشت في يافا، الناصرة وغزة، كانت من ضمن الناشطات اللاتي عملن في مدارس غزة على تدريب المخيمات الكشفية<sup>(1)</sup>. كما شاركت بعض الطالبات في نشاطات ثورية كوضع المسامير بالطرقات لتُقبّ إطارات السيارات العسكرية.

في القرى، وعلى جبهات القتال، كانت مساهمة المرأة تتضمن تزويد المقاتلين بالطعام وتهريب الأسلحة والمعدّات. بعض النساء عملن كمُخبرّاتٍ للمقاومين. وبعضهن شاركن في القتال الفعليّ مستخدمات الأسلحة.

من الأسماء التي اشتهرت وأخذت مكاناً في الذّاكرة الفلسطينية كانت صبحة العلي، التي اشتهرت بربط الرصاص على صدرها وظهرها وحول خصرها في انتفاضة العام (1936).

من ضمن القصص الماجدة، كانت تلك الخاصة بمجموعة من النساء أطلق عليهنّ اسم «رفيقات القسام» في الثلاثينيات. كان هناك أيضاً مجموعة تسمّى «بالكفوف السوداء» ومجموعة «الفتوات». شاركت كذلك النساء في حزب «النجّادة» العسكري.

مجموعة عسكرية أخرى كانت «زهرة الأقباحان»، التي تشكّلت في شباط (1947) في يافا. بدأت الحركة كحركة تغيير اجتماعي متعدد الديانات، وتحوّلت فيما بعد إلى حركة

(1) المرجع السابق. ص: 69 - 94.

كفاح مسلّح بعد التعدّيات الصهيونيّة والمذابح التي اقترفت ضد الفلسطينيين. من المحاربات في «زهرة الأفحوان» كانت الأخوات مهيبه وناريان خورشيد، وعبلة فطير، ويسرى طوقان، وفاطمة أبو الهدى، ويسرى البربري.

كان هناك كذلك مجموعة عُرفت باسم «منظمة الأرض» تحت قيادة كل من: نجلاء الأسمر وجولييت زكا<sup>(1)</sup>.

شكلت سنوات الثلاثينيات تطوّر الحراك النسائي من كونه فلسطينياً محلياً إلى حراكٍ عربيّ إقليمي. الدعم والوحدة، سواء بالكلام أو بالعمل، ساعد على توحيد مركز النساء وتقوية أدوارهنّ. حيث أفرزت النشاطات الثوريّة في تلك الفترة الكثير من الاهتمام الإعلاميّ في الإقليم. أدّى ذلك إلى مشاركة النساء الناشطات في العديد من المؤتمرات النسويّة العربيّة، في كلّ من: بغداد، بيروت، سوريا ومصر.

المؤتمر الرئيس كان ذلك الذي أقيم في القاهرة لدعم فلسطين بتاريخ (15 - 18 تشرين الأول 1938) تحت رئاسة هدى الشعراوي. شارك الوفد الفلسطيني بـ(12) امرأة، بالإضافة إلى سيّدات من العراق، الأردن، لبنان، سوريا، ومصر.

انفصلت الجمعية العربيّة رسمياً بعد الإنجازات الواضحة التي حققتها المؤتمر، إلى مجموعتين. الشقّ السياسيّ الذي نتج عن هذا الانفصال، حيث تحالف الاتحاد النسائي العربي مع فرع الحسيني. والجمعية العربيّة النسائيّة التي تحالفت مع فرع الناشيبي.

التنافس بين زليخة شهابي وزهية الناشيبي فيما بعد، من أجل رئاسة الجمعية العربيّة النسائيّة ساهم بالانفصال. فرع القدس من الجمعية العربيّة النسائيّة أبقى على اسمه، وعمل إلى جانب اتحادات نسائيّة أخرى كانت قد تشكّلت نتيجة الانفصال في الجمعية العربيّة النسائيّة. أصبح اتحاد المرأة العربي أكثر سياسياً بقيادة زليخة شهابي، بينما ركّزت الجمعيات الأخرى أكثر على الأعمال الخيريّة<sup>(2)</sup>.

(1) عبد الهادي، فيحاء. أدوار المرأة الفلسطينية في الثلاثينيات. ص: 96 - 94.

(2) فليشان، إلين. الحركة النسائية في القدس (1920 - 1930). ص: 33.



من ضمن الجمعيات التي بدأت في بداية الأربعينيات وأصبحت أكثر تواجداً بعد النكبة، كانت جمعية التضامن الاجتماعي. من غير المعروف متى بدأت وأين. أعطت النساء اللاتي تمت مقابلهن في موسوعة فيحاء عبد الهادي «أدوار المرأة الفلسطينية في الأربعينيات والخمسينيات»، شهادات مختلفة عن إنشاء هذه الجمعية. المؤكد هو أنه كان للجمعية عدة فروع، وكانت النساء على دراية بالفرع التي قدمت منه. الأخوات جارا لله، وسارة، وسامية، ورفقة بدأت الجمعية في يافا بالبداية. كان المكتب الرئيس في القدس وارتبط عملهن مع الدكتورة دُرّية شفيق من مصر، والتي كانت في ريادة العمل المجتمعي وإحدى قيادات الحركة النسائية في مصر. عملت الجمعية على تعزيز قدرات المرأة عن طريق المحاضرات وورش العمل التي ركزت على التوعية وتطوير المهارات. من ضمن النساء اللاتي ترأسن الجمعية كانت لولو أبو الهدى من القدس، وندية رصاص، التي كانت معلمة، عملت كذلك على تجنيد المعلمات للانضمام للجمعية. وكانت دُرّية شفيق إحدى القيادات في الحركة النسائية المصرية من الفاعلات مع النساء في فلسطين.

### الجمعيات الخيرية وارتباطها بالحركة النسائية

لا يمكن تجاوز أهمية الجمعيات الخيرية في تشكيل الحركات النسائية، ومساهمتها في بناء تدريجي قوي للنشاطات التي عملت على تلبية الاحتياجات المختلفة للمجتمع الفلسطيني مع تركيز على النساء. إن الوعي لاحتياجات المرأة تطلّب كذلك وعي المجتمع في ذلك الوقت، مما ساعد على خلق توجه قوي في القيادة النسائية التي كانت تنمو نتيجة نشاطات كهذه، مع تقلب الوضع السياسي والتغيرات الإقليمية والعالمية.

في فلسطين، كان الحراك النسائي قد تقاطع ربما مع ظهور الجمعيات النسائية الأولى. ولكن لا يمكن تحديد هذا وتأكيد. فكانت هناك جمعيات قد اتفق عليها مثل جمعية سيدات الأرثوذكسيات في يافا، والتي تأسست عام (1910). ساهمت أديل عازر بإنشاء الجمعية بهدف مساعدة الأيتام والمحتاجين من البنات وتعليمهن. ترأست أديل الجمعية، وكانت كذلك مديرة مدرسة الأرثوذكسية للبنات.

من الجمعيات غير الربحية التي بدأت نشاطاتها أوائل القرن العشرين، كانت «الجمعية الأرثوذكسية لإغاثة الفقراء» في عكا التي أسستها نبيهة منسي، وقدمت خدمات إنسانية.

قدمت جمعية سيدات الأرثوذكسيات (1910) في يافا المساعدة للفتيات اليتيمات وأرسلتهن للتعليم في الجامعة الأميركية في بيروت. من المؤسسين كان هناك رجال ونساء فاعلون في المجتمع تم ذكرهم: روجينا يعقوب غندور، ماري جورج دباس، عفيفة إبراهيم قدسي، جوليا صليبا سليم، فكتوريا روفائيل ظريفة، زهية سمعان العيسى، فدوى الياس برتكش، ملفينا موسى حكيم، فدوى قديس وسعدا سليم تماري التي كانت رئيسة الجمعية.

في القدس تأسست «جمعية تهذيب الفتاه الأرثوذكسيّة» عام (1918)، تحت رئاسة كاثرين شكري ديب لغاية عام (1947). شجعت هذه الجمعية على تعليم البنات وإرسالهنّ لمدارس ثانوية مثل شميدت والكلية الإنكليزية. كاثرين ساهمت كذلك في تأسيس اتحاد المرأة وشاركت في مجلس المرأة المنعقد في القاهرة بـ(1938 و 1944).

كاثرين سكسك كانت كذلك من ضمن الناشطات في «جمعية بنات الأرثوذكس»، وعملت في «جمعية إغاثة الفقراء والمرضى»، قبل أن تتركس نفسها لخدمة الأطفال ذوي الإعاقات الجسدية، حيث أنشأت «جمعية لذوي الإعاقات» بيت جالا، وأسست كذلك ملجأً (بيت أمومة) باسم «مريم العذراء». توسّع عملها بطريقة ملفتة وترأست العديد من الجمعيات في هذا المجال حتى سُميت جميعاً تحت مظلة: «الجمعية العربية الأرثوذكسيّة للمرضى وذوي الإعاقة».

كثرت هذه الجمعيات بالقدس وفي أرجاء الدولة في العشرينيات من القرن الماضي، كان من ضمن الجمعيات: «جمعية سانتا تيريز»، والتي كان لها فروع بالناصره حيفا ويافا. ترأست الجمعية راهبة من الناصرة وأصبحت فيما بعد رئيسة الراهبات الكاثوليك في القدس وتوفيت عام (1929).

سلمى حمصي سلامة أسست «جمعية حاملات الطيب» عام (1926). احتوت الجمعية على عيادة، وساعدت الفقراء واللاجئين إبّان النكبة. بدعوة خوري سلامة أسست كذلك





«جمعية النهضة النسائية» عام (1923) والتي كان هدفها محاربة الأمية. سنة 1929، أسست نعمتي العلمي جمعية «النساء العرب» بعد مظاهرات البراق. شاركت الكثير من النساء في الجمعية وكانت بداية لتشكيل اتحادات النساء بعد عام (1938). انتشرت مشاركات النساء في أرجاء المدن الفلسطينية المختلفة وبدأت فروعها في مناطق مختلفة مثل رام الله ويافا، نابلس، عكا، حيفا، وغزة. كانت من ضمن النساء الناشطات: عندليب العمدمن نابلس، أديل عازر، وجيهة توفيق دجاني من يافا، زليخة شهابي، كاثرين سكسك، ميليا سكاكيني من القدس. ليديا أخرج من بيت لحم.

حافظ فرع القدس على الاسم واستمرّ العمل مع اتحاد المرأة. على الرغم من توقّعه عن العمل إبان النكبة، ولكن أعيد تشكيله عام (1965) وترأسته زهية ناشاشيبي<sup>(1)</sup>.

لم تكن تجربة الجمعيات الخيرية في القدس مختلفة. بدأ التركيز على تمكين المرأة من خلال تعليم الأمهات الصغيرات على مبادئ الأمومة، والتدريب على الكفاية الذاتية وتحسين البيوت. ديانا سعيد كانت إحدى المدربات التي تخرجت من كلية البنات في بيروت بالأربعينيات<sup>(2)</sup>. وفي عام (1919) تأسست جمعية السيدات العربيات. وتبعها تأسيس الاتحاد النسائي عام (1921)<sup>(3)</sup>.

من المرجح، أن تأسس الاتحاد النسائي لم يكن مصادفة، حيث كان إنشاء الاتحاد النسائي العربي في مصر من قبل هدى الشعراوي عام (1919). المشاعر الإقليمية تجاه الاحتلال البريطاني كانت نفسها، وكانت النساء تواجه نفس الصعوبات والتحديات. ولكن من المرجح كذلك، أن تكون جراءة النساء في مصر وإقدامهن، حثت على توسيع رقعة الشجاعة والتحدي لدى النساء الفلسطينيات.

عندما أسس الاتحاد النسائي العربي في القدس عام (1929)، لم تكن الجمعية مثل أختها

(1) النجار، عايده. القدس والبنيت الشلبية. السلوى للدراسات والنشر. عمان. 2010. ص: 203 - 207.

(2) النجار، عايده. ص: 123.

[http://www.passia.org/jerusalem/publications/J\\_wom\\_org\\_british\\_man\\_txt.htm](http://www.passia.org/jerusalem/publications/J_wom_org_british_man_txt.htm)

(3) [http://www.passia.org/jerusalem/publications/J\\_wom\\_org\\_british\\_man\\_txt.htm](http://www.passia.org/jerusalem/publications/J_wom_org_british_man_txt.htm)

السابقة التي أقيمت لأهداف خيريّة وتعليميّة فقط. كانت أهدافها سياسيّة تتضمن الصراع القائم. احتوى جدول أعمال هذه الهيئات على التركيز على الأهداف الوطنيّة أكثر من التركيز على الطبقات الاجتماعيّة. ومع هذا، فإن القوائم على هذه الجمعيات كنّ متعلّقات وانتمين بالغالب إلى الطبقة الاجتماعيّة العليا من العائلات التي كان أفرادها في قيادة الحركة الوطنيّة. بالإضافة، إلى انضمام نساء من الطبقة العاملة لهذه الجمعيات. كان التركيز موجّهاً نحو الاعتراض على السياسات الانتدابيّة البريطانيّة ودخول الصهيونيّة والمستعمرات.

بالطبع، إنّ النساء في تلك الجمعيات جئن من طبقة مدنيّة. تصف تمارا ماير في كتابها: النساء والاحتلال الإسرائيليّ: سياسة التغيير: «بسبب أنّ النساء القرويّات كنّ أكثر تأثراً بالاستعمار البريطاني وسياساته الاستيطانيّة والهجرات اليهوديّة أكثر من النساء من الطبقة المتوسطة بالمدن، حيث إنّ قدرتهن على الوصول إلى أراضيهن وبالتالي الزراعة كانت مهدّدة، فإنّ مشاركتهن بالصراع الوطني كانت مختلفة»<sup>(1)</sup>.

تضيف ماير: «بينما شاركت المرأة في المدينة من خلال ما يزيد على مائتي جمعيّة خيريّة، شاركت المرأة الريفيّة بالمظاهرات الحيّة والدمويّة»<sup>(2)</sup>. الوضع على الأرض جلب النساء الريفيات بطبيعة الحال إلى «مواجهات عسكريّة، جسديّة، من قبل البريطانيين واليهود، وسهلت تدخل المرأة في المدينة بالصراع، بينما تزامن عمل النشاطات الخيريّة التي ساهمت من خلالها المرأة في المدينة على التركيز على الاهتمام بالأيتام من ضحايا المتظاهرين الفلاحين، العميان، المعاقين، وعلى تعليم النساء في المناطق الريفيّة بالغالب. «وعليه، ظلت النساء الفلسطينيات متّحدات بالرغم من اختلاف أهدافهنّ المباشرة»<sup>(3)</sup>. في هذا الصدد، حصل تناغم في توزيع المساهمات على المستوى السياسيّ والاجتماعيّ فيما بين أجزاء المجتمع المدنيّ والريفيّ. بسبب الوضع السياسيّ، بقي تحدّي النساء الأساسيّ هو الصراع الوطنيّ. أدى هذا بطريقة ما، إلى إذابة المواضيع الاجتماعيّة، خصوصاً تلك التي تشكّل الترتيب الذكوريّ للمجتمع. لم تشكل كذلك النساء في أعمالهن تلك ما يؤرق السيادة الذكوريّة بالمجتمع، حيث ارتبط جدول أعمال

(1) تمار، ماير. المرأة والاحتلال الإسرائيليّ. سياسة التغيير. ص: 65.

(2) نفسه.

(3) نفسه.



هذه الجمعيات بالصراع الوطني. إلا أن هذه النشاطات، أبرزت المرأة، وتم وصول صوتها وملاحظتها: «أخرجت المرأة الفلسطينية من عزلة البيت، العائلة، والمجتمع وكذلك العزلة الإقليمية. وجعلتها جزءاً من الصراع الوطني الأكبر»<sup>(1)</sup>.

### حركة نسائية أم نسوية

قد تكون الحركة النسوية في فلسطين مرتبطة بالظهور الأول للجمعيات النسوية حول العالم. إلا أنه من غير الممكن تأكيد ذلك. ولكن في الوقت نفسه، إذا ما كان الحديث عن النسوية، هو ما يعني بإعادة تعريف حقوق المرأة، ما يشمل اللباس والأدوار فيما وراء العائلة. وإذا ما كانت - حسب تأكيد أبو اللغد - مواضيع حيوية للرجال والنساء المهتمين بالإصلاح الاجتماعي<sup>(2)</sup>. تتساءل أبو اللغد عما جرى. وتحاول فيما بعد أن تبحث في «اللحظة التاريخية عندما بدأ الرجال والنساء الحديث عن إعادة صناعة النساء»<sup>(3)</sup>. إن اتصال الحركات النسائية لا يمكن مراجعتها دون الربط مع النسوية، والنسوية في فلسطين مصاحبة لتاريخ معقد، كما في الدول العربية، وغيرها من الدول كالهند التي بدأت الحركات النسائية فيها مع الحراك القومي ومشت باتجاه الاهتمام بفترات ما بعد الاستقلال، حيث كان التركيز على الفقر<sup>(4)</sup>. من الممكن ملاحظة أن الحركة النسائية الفلسطينية أخذت هذا الاتجاه. من المهم الانتباه كذلك عند الحديث عن الحركة النسائية الفلسطينية إلى عدم إهمال حقيقة إنه «أينما تواجدت المستعمرات الأوروبية والبعثات المسيحية، وأينما كان هناك حركات قومية تحاول تشكيل الأمم الجديدة، كان هناك علامات للمثاليات والاحتماليات الجندرية»<sup>(5)</sup>.

من جهة أخرى، تضع ماير نقطة مهمة عندما تناقش الأجندة الوطنية الفلسطينية في صراع

(1) نفسه.

(2) أبو لغد، ليلي. ص: 4.

(3) نفسه.

(4) نفسه.

(5) نفسه.

النساء. إنّ غياب رؤيا واضحة للدولة، عند انتهاء الانتداب البريطاني والحراك الصهيوني، أدّى إلى نفس المستقبل غير الواضح للحركة النسائيّة. تقول ماير: «بقي مستقبل النساء موضوعاً بالقلب التقليدي على الرغم من تدخل النساء في الصراع الوطني الذي جعلهن أكثر بروزاً بالدائرة العامة. في الواقع، كانت مشاركاتهن تبدو وكأنها أكثر أشكال النشاط العام طبيعيّة، حيث استمرت مشاركاتهن فيما بعد عام (1967) في الضفة الغربيّة وغزة»<sup>(1)</sup>.

كما لا يتوجب التقليل من أهميّة دور المرأة في ظهور حركتها في ذلك الوقت، يجب ألا يتم زيادة التركيز على تلك الأهميّة وتأثيرها.

إنّ مشاركة المرأة في احتجاجات عام (1929)، قادتها بلا شك إلى تصدّر الصفوف الأماميّة بعناوين الأخبار على المستويين العربيّ والفلسطينيّ، وكذلك الدولي. كان حدث مؤتمر نساء فلسطين العربيات الأول في (26 تشرين الأول 1929)، يعتبر بمثابة المرّة الأولى التي تدخل المرأة فيها السّاحة السياسيّة. عبّرت النساء المشاركات بصوت عالٍ عن مطالبهنّ بدور سياسيّ محدّد بلباقة ونضوج. استقبال الإعلام أهميّة واستثنائيّة هذه النشاطات بإعجاب كبير. كان صوت النساء الفلسطينيّات هو الصّوت الأول المتدافع إلى العالم العربي نداءً لإنهاء الاضطهاد، مما شكّل مدخلاً للمرأة في السّاحة العامّة.

يجب ألا ننسى طبيعة الحال، أن الحراك بدأ في اتحاد المرأة المصريّة، إلّا أن ما قامت به المرأة الفلسطينيّة كان أكثر شموليّة وإقليمياً. من المؤكّد أن الحراك كان موجّهاً للمجتمع الفلسطيني، إلّا أنّه وفي الوقت نفسه كانت تلك القضايا تخصّ كذلك المرأة في المنطقة كإقليم، مما قرع أجراس الظلم الواقع على المرأة والشعوب المضطهدة. كان صدى المؤتمر، من جهة أخرى، محدوداً بالتأثر السابق لبروز الحركة النسائيّة في فلسطين.

إنّ العمل الجاد في الجمعيات الخيريّة، أعطى النساء إحساساً أكثر واقعيّة بالاحتياجات وخلق اتصالاً أفضل مع المجتمع فيما بين الطبقات المجتمعيّة المختلفة. إنّ النساء اللاتي قدن هذه الجمعيات، عرفن المقدّرات الكامنة بالنساء أنفسهن، مما جعل من الجمعيات أكثر ملاءمة نحو خطا الحراك النسائي الذي تناسب مع مقاييس الحركات الصاعدة.

(1) المرجع السابق. ص 67.



مع وجود وضع سياسي ترك المجتمع بلا خيارات، ولكن استمرّ في حالة الخضوع لاحتلال ويأس. كانت النساء في تلك المراكز قد وجدت لدورها أكثر معنى ومنفعة للحاجة المجتمعية العامة، في وجه المجهول من الأجناس السياسية التي كانت قيد التحضير.

وكتيجة، من بداية تشكيل وتطوير الحركات النسائية، قررت النساء المطالبة بحقوقهن بخطّين غير منفصلين، لما سيقى مشكلاً لمحاولة الفلسطينيين للتحرر، متقدمين نحو حداثة مع زيادة بالتعليم وانفتاح على المنطقة والعالم. بالتوازي مع المحافظة على التراث وعادات المجتمع وتقاليده. وربط أنفسهن مع الأجناس الوطنية السياسية، والتي أثبتت أن مشاركتهن كانت إيجابية ومهمّة، ولكن استمرّت بربط نفسها مع فعاليات الرّجل السياسية.

إنّ فتح المجال للتعليم، سمح بظهور مجتمع بدأ بالسّير نحو الحداثة، سواء كان ذلك بالحياة المدنية أو حياة الفلاحة. فبين نخبة مجتمعية وتلك التي تنتمي إلى الفلاحة، بدأ ظهور طبقة وسطى في المجتمع. وكان هذا جلياً بظهور مهن جديدة، كما بدأت الجمعيات الخيرية بالظهور بقيادات نسائية، وعليه كانت الحركة النسائية قد بدأت بالتشكل.

### بين الأمس واليوم

إذا ما فكرنا بتغيير الوضع أو عدم تغييره في الحركة النسائية الفلسطينية، وبالتالي مخرجاتها، سأنتفق بالمثل مع نقطة ماير بالنسبة لما ذكرته في كتابها السابق الذكر: «لأنّ تدخلهم القومي بدأ على أرض لم يتحدوا بها المبنى السكاني الاجتماعي - بحملات تعليمية ومساعدات للمحتاجين، في وضع الطبقة الوسطى. وفي حالة الفلاحات من النساء، مع مظاهرات ضد «الخارجيين» - استطاعت المرأة الفلسطينية أن تخرج إلى الشارع وتتحرك من المجال الخاص إلى المجال العام بطرق كانت مقبولة بالنسبة لشركائهم الرجال في المقابل»<sup>(1)</sup>.

إنّ غياب الإستراتيجية لدى القيادة في ذلك الوقت، كما في هذا الوقت، تبقى عائقاً مهماً أمام المرأة في الحيز السياسي، وتعريف دورها في البناء المجتمعي. اختزلت الحركة

(1) ماير. ص 45.

لسياسات قوميّة متّفق عليها على حساب تطوير أجندة نسويّة اجتماعيّة فاعلة. لقد ركز الفلسطينيون خلال تاريخهم على محاربة المعتدي أو العدو. ولكن على ما يبدو لم يكن لديهم أبداً خطة لما سيأتي لاحقاً.

في تاريخنا الواقعيّ اليوم، لقد تمّ الإعلان عن مشروع التحرير على أنه الهدف الأساسيّ للفلسطينيين، مما جعله عائقاً يُجَنَّب المرأة الحصول على وضعيّة أو التصرف بطريقة تليق بمقدراتها الحقيقيّة.

على ما يبدو، إنها ليست مصادفة، إنّ بروز الحركة النسائيّة على المستوى السياسيّ في فترة الانتداب تزامنت مع الحاجة لمشاركة كهذه، كما حصل في الانتفاضة الأولى في الثمانينات من القرن العشرين. إنّ مشاركة المرأة بدأت تطوعيّة وتلقائيّة. وكان الدافع العام بالمشاعر الجماعيّة القوميّة للصراع، محفزاً بأن تجد المرأة نفسها في الخطوط الأماميّة في مواجهة الاضطهاد والعدوان من قبل المعتدين، عندما استشهد الرجال أو سُجنوا أو أُبعدوا. وجدت المرأة نفسها بلا خيار متوجّهة نحو التصدّي للعدو.

المشاركة في الصّراع المنبثق والمستمر أدّى إلى توزيع أدوار في المشاركة في وقت الحاجة في الصّراع الفلسطيني.

وعليه، إنّ الحديث عن المجتمع الفلسطيني وتركيبته يبقى بنفس التعقيدات الموجودة اليوم.

ما هو مؤكّد في هذه الرحلة من التغرية الفلسطينية، أنّ الرجال والنساء حملوا على أكتافهم حلم تحرير فلسطين. بينما استمر التهجير من نكبة إلى نكسة، أصبحت القضية قتالاً من أجل إيجاد مكانٍ للمقاومة، من الأردن، لسوريا، للبنان، حتى تونس. مع كل إغلاق مأساويّ للوضع في مدينة ما، كانت القضية تأخذ شكلاً آخر. قوة أكثر لمبنى فتح في منظمة التحرير الفلسطينية، ونقلص تدريجيّ لفلسطين بالخارطة والقلوب، حتى منتصف الثمانينات، لم تعد القضية متماسكة فقط، بل شخصيّة. كانت تلك اللحظة التي تحولت فيها القضية لقضية شخصيّة، وأصبحت كلها تنصب بشخص واحد.

سواء كان هذا الشخص شخصاً، أو جسماً مؤسّسياً أو حزبيّاً، فهذا ما يشكّل الوضع



الحالي في شأن الفلسطينيين اليوم. الانتماء مرتبط بعائلة أو فصيلة أو حزب تنتهي إليه المصلحة العليا، ويتشكّل على أساسه شكل النضال وآلية التفاعل معه. وصبّ دور المرأة في مؤسساتها وحراكها على هذا الأساس من التبعية.

## المراجع

- 1) جبرا، إبراهيم جبرا. (2001) البئر الأولى. سيرة ذاتيّة. المؤسسة العربيّة للدراسات والنشر.
  - 2) الحسيني، سيرين شهيد. (2008) ذكريات من القدس. ترجمة عن الفرنسيّة: محمد برادة. دار الشروق. عمان الأردن.
  - 3) الخلو، جهان. (2009) المرأة الفلسطينية: المقاومة والتغيرات الاجتماعية. شهادات حيّة للمرأة الفلسطينية في لبنان. مركز المرأة الفلسطيني للبحث والتوثيق. رام الله. فلسطين.
  - 4) الخالدي، حسين فخري (2014) ومضى عهد المجاملات. مذكرات. دار الشروق. عمان. الأردن.
  - 5) الدجاني، مقدادي، ريحة (2010) إضاءات من خبرتي وتراث أمتي. دار الشروق. عمان. الأردن.
  - 6) السكاكيني، خليل (2004) يوميات خليل السكاكيني. الكتاب الثاني. مؤسسة الدراسات المقدسيّة. فلسطين.
  - 7) طوقان، فدوى (2005) رحلة جبلية صعبة. سيرة ذاتيّة. دار الشروق للطباعة والنشر. رام الله/ فلسطين. الطبعة الثانية.
  - 8) عارف العارف، نكبة فلسطين والفردوس المفقود (1947 - 1952) الجزء الأول. دار الهدى.
  - 9) عبد الهادي، فيحاء (2005) أدوار المرأة الفلسطينية في الثلاثينيات. مركز المرأة للبحوث والتوثيق. رام الله. فلسطين.
  - 10) عبد الهادي، فيحاء (2005) أدوار المرأة الفلسطينية في الأربعينيات. مركز المرأة للبحوث والتوثيق. الله. فلسطين.
  - 11) العفاني، سيد بن حسين، زهر البساتين من مواقف العلماء والربانيين. الجزء الثالث. دار العفاني، القاهرة.
  - 12) قليبوي. طاهرا ديب (2006) عائلات وشخصيات من يافا وقضاهاها. المؤسسة العربيّة للدراسات والنشر. بيروت. لبنان.
  - 13) النجار، عائدة. (2013) القدس والبنت الشلبيّة. دار السلوى. عمان. الأردن.
  - 14) نحال زعرب، امتياز. (2013)، فلسطينيات، وجوه نسائيّة معاصرة. دار المقداد للطباعة. غزة، فلسطين.
- Abu Lughod, Lila. (1998) (Ed) Remaking Women. Feminism and Modernity in the Middle East.
- 1) Princeton University Press. NJ. USA.
- 'Asaly, Kamel. (1990) Jerusalem in History. Olive Branch Press.
- Bois, Danuta. HudaSha'rawi, in: <http://www.distinguishedwomen.com/bio.php?womanid=288>
- Doumani, Beshara and Soukarieh, Mayssun. (2009) A Tribute long overdue. Journal of Palestine Studies, Issue 4, 2009. University of California Press.





Fleischmann. (1999). The Emergence of Palestinian Women's Movement, 1929-1939. (p.16) Vol.29.

Fleischmann, Ellen. (1995) Jerusalem Women's Organizations During the British Mandate (1920s-1930s). PASSIA.

Fleischmann, Ellen. (1997). the Nation and its «New" Women: The Palestinian Women's Movement, 1920-1948. University of California Press.

Graham-Brown, Sarah. (1988) The Portrayal of Women in Photography of the Middle East 1860-1950.

Images of Women. Columbia University Press.

Ka'war, Amal. (1996) Daughters of Palestine. SUNY Press.

Khalidi, Anbara Salam. (2013) Memoirs of an Early Arab Feminist Trans. Tariff Khalidi. Pluto Press.

Khalidi, Walid. (1984) Before Their Diaspora: Photographic History of the Palestinians: 1876-1948. The Institute for Palestine Studies.

Khalidi, Walid. (1981) Palestinian Historiography: 1900-1948, in: Journal of Palestine Studies, Vol. 10 No. 3 1981. University of California Press.

Khalili, Laleh. (2005) Places of Memory and Mourning: Palestinian Commemoration in the Refugee Camps of Lebanon.

In: Comparative Studies of South Asia, Africa and the Middle East, Vol. 25, No. 1, 2005. Duke University Press.

Manna' Adel. (1986) Palestine in the Late Ottoman Period: Political, Social, and Economic Transformation. Brill.

Masalha, Nur. (2012) The Palestine Nakba: Decolonizing History, Narrating the Subaltern, Reclaiming Memory. Zed

Mayer, Tamer. (1994) Women and the Israeli Occupation: The Politics of Change. Routledge

Robson, Laura. (2011) Colonialism and Christianity in Mandate Palestine. University of Texas Press.

Sabella, Bernard. (2014) Palestinian Christians in Jerusalem and Churches(pdf).

Sheriff, Maher. Palestine Ottoman History. www.ppp.ps, 16-10-2013.

Talhami, Ghada. (2013) Historical Dictionary of Women in the Middle East and North Africa. Rowman and Littlefield.

Walton, David. (2007) Introducing Cultural Studies: Learning Through Practice. SAGE.

## مراجع إنترنت

- أبجد <https://www.abjjad.com/author/6805395/مي-زيادة/books>
- نضال+المرأة+ال فلسطينية+A في ذكرى+النكبة+ 3% <http://www.addustour.com/15025/%3> +النكبة.html
- Najjar, Ayda. In Memory of Nakba: Palestinian Women Struggle was bigger than years of Nakba(ar).  
<http://al-hakawati.net/arabic/arabpers/women2.asp>
- <http://www.alnssabon.com/showthread.php? T=19648>
- عبد الحكيم سمارة: رجال ونساء من فلسطين: صبا الفاهوم. <http://www.aljabha.org/?i=74967>.
- Encyclopedia of Palestine. <http://www.palestinaedia.net/-1901-1992/>
- Stephan, R. (2014) <http://www.e-ir.info/2014/11/07/four-waves-of-lebanese-feminism/> Four Waves of Lebanese Feminism
- [http://emtiiazalnahhal.blogspot.com/2013/11/blog-post\\_22.html](http://emtiiazalnahhal.blogspot.com/2013/11/blog-post_22.html)
- مدونة قلم ودفتري من فلسطينيات (٢٠١٣): وجوه فلسطينية معاصرة
- Abdo, Nariman Khoursheid and the organization of Zahret al Aqhawan. <http://www.jadaliyya.com/pages/index/21776/-الأقحوان->
- <https://middleeastrevised.com/2014/10/30/remembering-may-ziadeh-ahead-of-her-time/>. Middle East Revised (2014) Remembering May Ziadeh
- Palestine: Information with Provenance (PIWP database). Orthodox Ladies Society of Jaffa.  
<http://cosmos.ucc.ie/cs1064/jabowen/IPSC/php/authors.php?aid=45842>
- <http://www.wafainfo.ps/persons.aspx?id=444>
- <http://www.palestinaedia.net/السيدات-العربيات-اجتماع/>
- <http://btd.palestine-tudies.org/content/palestinian-women-outside-high-commissioners-jerusalem-residence. Before their Diaspora. A photographic history of Palestine by Walid Khalidi>
- <http://www.palestinaedia.net/-1865-1948-نجيب-نصار/>